

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[181] الواقع - هي خلاصة أخيرة لكل البحوث التوحيدية التي وردت في السورة، وهي ثمرة لمفاهيمها جميعاً، إذ هي تخاطب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقول: (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن). ومثل هذا الرب في مثل هذه الصفات، هو أفضل من كل ما تفكّر به: (وكبره تكبيراً). ونلاحظ في هذه الآية عدة أمور: 1 - تناسب الصفات الثلاثية في الآيات أعلاه تمّت الإشارة إلى ثلاث صفات من صفات الله، ثمّ بملاحظة الأمر الوارد في نهاية الآية تكتمل إلى أربع صفات. أوّلاً: نفي الولد، لأنّ امتلاك الولد دليل على الحاجة، وأنّه جسماني، وله شبه ونظير، والخالق جلّ وعلا ليس بجسم ولا يحتاج لولد، وليس له شبه ونظير. الثّاني: نفي الشريك (ولم يكن له شريك في الملك) حيث أن وجود الشريك دليل محدودية القدرة والحكومة والسلطة، وهو دليل العجز والضعف، ويقتضي وجود الشبيه والنظير. والخالق جلّ وعلا مُنْزَعٌ عن هذه الصفات، فقدرته كما هي حكومته غير محدودة، وليس له أي شبه. الثّالث: نفي الولي والحامي عند التعرّض للمشاكل والهزائم (ولم يكن له ولي من الدن). ونفي هذه الصفة عن الخالق يعتبر أمر بديهي. إنّ الآية تنفي أي مساعد للخالق أو شبه له، سواء كان ذلك في مرحلة أدنى (كالولد) أو في مرحلة مساوية (كالشريك) أو أفضل منه (كالولي). نقل العلامة الطبرسي في (مجمع البيان) عن بعض المفسّرين الذين لم يذكر